مهارات التواصل في السنة النبوية

تأليف

أ. د. محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج علي

المشرف علي المشروعات الثقافية
د. محيي عبد الحي

الإخراج الفني
أحمد طه محمود

تصميم الغلاف
نسرين كشك

المراجعة اللغوية
سيد عبد المنعم

المتابعة
شريف عبد العزيز

الطبعة الأولي: للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٠.

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٩٤ كورنيش النيل ـ رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي : ١١٧٩٤
تليفون : ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١١٤٣٢/ ٢٠٢٠
ISBN 978-977-91-2909-9

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب. يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.

المشروعات الثقافية

مهارات التواصل في السنة النبوية

تأليف
د. محمد مختار جمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب: ٢١)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فيقول الحق ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة فصلت، الآية ٣٣]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٤]، ويقول تعالى مخاطبًا نبينا ﷺ: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [سورة النحل، الآية ٨٢]، ويقول نبينا ﷺ: «بلغوا عني ولو آية» (صحيح البخارى)، ويقول ﷺ: «نضَّر الله امرأً سَمِع مقالتي فوَعَاها فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا فرُبَّ

مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِن سَامِعٍ» (سنن أبي داود)، ويقول ﷺ: «فوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لكَ مِن حُمْرِ النَّعَمِ» (متفق عليه).

ويقول الحق ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١١٠]، ويقول ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآيتان ١٦٤، ١٦٥]، حيث أنجى الله ﷻ الفئة التي تنهى عن السوء فحسب، وأخذ من سواهم من الظالمين بعذاب بئيس، سواء في ذلك من اعتدوا في السبت أم من كانوا سلبيين في مواقفهم، فكلتا الطائفتين ظالم لنفسه مبين، وفي الحديث النبوي الشريف "عن جابر بن عبد الله أن الله ﷻ أوحى إلى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها قال فقال: يارب إن فيهم عبدك فلانًا

لم يعصك طرفة عين قال فقال: إقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمعر فيَّ ساعة قط"(المعجم الأوسط للطبرانى، مجمع الزوائد للهيثمى) .

على أن مهارات التواصل الدعوي في عصرنا الحاضر تتطلب معرفة وسائل وأساليب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقتضي الدقة في مراعاة مناسبة المقال للمقام، كما تتطلب الإلمام الكافي بالتعامل مع سائر وسائل التواصل العصرية والتكنولوجية ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة بمهارات فائقة تواكب العصر ومستجداته ومتطلباته.

ومن ثمة فإن على كل عالم أو واعظ مخلص أن يبذل أقصى طاقته في سبيل تحقيق هذا البلاغ، مع الأخذ بكل الأسباب ووسائل ومهارات وأدوات التواصل التي تعينه على إبلاغ دعوته بلاغًا مبينًا، وأن يكون قدوة بأعماله قبل أقواله، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[سورة الصف، الآيتان٢، ٣]،

وقد قالوا حال رجل في ألف رجل خير من كلام ألفٍ في رجل، ومن ثمة كانت الدعوة بالقدوة من أهم أساليب الدعوة إلى الله ﷻ.

كما ينبغي أن تكون الدعوة إلى الله ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل، الآية ١٢٥]، ويقول جل شأنه: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[سورة البقرة، الآية ٢٦٩].

ولا يمكن أن تكون الدعوة حكيمة حسنة ما لم تكن الطريقة والوسيلة كذلك، فالجار والمجرور في قوله تعالى: « بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ « متعلق بقوله تعالى: «ادعُ»، فعلينا أن نكون دعاة لا قضاة ولا جلادين، وأن نكون مبشرين ميسرين لا مشددين ولا معسرين، حيث يقول نبينا ﷺ: «يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا

تنفِّروا»، وما خير نبينا ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا ولا قطيعة رحم فإن كان إثمًا أو قطيعة رحم كان ﷺ أبعد الناس عنه، وقد وصفه ربه ﷻ بأنه رءوف رحيم فقال ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[سورة التوبة، الآية ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[سورة آل عمران، الآية ١٥٩].

فما أجمل أن نقتدي بهديه ﷺ في الدعوة إلى الله ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نكون ميسرين على الناس لا معسرين ولا مضيعين، وأن نكون قدوة حسنة بأخلاقنا وقيمنا وأفعالنا، كما كان رسول الله ﷺ نعم القدوة الحسنة لأزواجه، وأبنائه، وأحفاده، وأصحابه، وأمته، والناس أجمعين، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٢١].

وعلينا أن نقتدي به ﷺ في بذل وسعه وطاقته في سبيل تحقيق البلاغ المبين، واستخدامه ﷺ كل مهارات التواصل المتاحة في زمنه ﷺ لإبلاغ رسالته للعالمين.

كما علينا أن نجتهد في الاستفادة من كل مهارات وأساليب ووسائل التواصل في عصرنا الحاضر لبلوغ هدفنا في نشر سماحة الإسلام، وبيان روحه السمحة، وجوهره النقي، ويسره ورحمته، وسائر جوانبه وقيمه الحضارية والإنسانية.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا الإخلاص والقبول والسداد والتوفيق في القول والعمل، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
عضو مجمع البحوث الإسلامية

النبي القدوة ﷺ

كان نبينا محمد ﷺ أحسن الناس خُلقًا، وأصفاهم نفسًا، وأحسنهم معاملة، فكان نعم القدوة في حياته كلها، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

فقد كان ﷺ يعين أهله ويساعدهم في حاجتهم وفي شئون البيت، تقول السيدة عائشة ﵂ أنه ﷺ: «كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ»[2]. وسأل رجل السيدة عائشة ﵂ ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ»[3]، وعَنِ

(١) [سورة الأحزاب، الآية ٢١].

(٢) مسند أحمد، ٥٤/ ٢٥٤، حديث رقم ٢٥٦٤٥ .

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأذان، بَاب مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَهْلِهِ فَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَخَرَجَ، حديث رقم ٦٧٦ .

ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»(١).

وكان ﷺ خير الناس لأمته، حيث يقول: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلاَّ وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾(٢)، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ تَرَكَ مَالاً فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا، فَإِنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي وَأَنَا مَوْلاَهُ»(٣)، ويقول ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ الله مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا»(٤)، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ الله ﷻ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٥)،

---

(١) سُنن الترمذي، كتاب المناقب، باب فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِي ﷺ، حديث رقم ٤٢٦٩ .
(٢) [سورة الأحزاب، الآية ٦].
(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب النَّبِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، حديث رقم ٤٧٨١ .
(٤) متفق عليه واللفظ لمسلم: صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب وَلِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، حديث رقم ٦٣٠٤ . وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب اخْتِبَاءِ النَّبِي ﷺ دَعْوَةَ الشَّفَاعَةِ لأُمَّتِهِ، حديث رقم ٥١٢.
(٥) [سورة إبراهيم، الآية ٣٦].

وَقَالَ عِيسَى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللهمَّ، أُمَّتِي أُمَّتِي» وَبَكَى، فَقَالَ الله عز وجل: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ الله: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ»[2].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ طِيبَ نَفْسٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ الله لِي، فَقَالَ: «اللهمَّ اغْفِرْ لِعَائِشَةَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهَا وَمَا تَأَخَّرَ، مَا أَسَرَّتْ وَمَا أَعْلَنَتْ»، فَضَحِكَتْ عَائِشَةُ حَتَّى سَقَطَ رَأْسُهَا فِي حِجْرِهَا مِنَ الضَّحِكِ، قَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: «أَيَسُرُّكِ دُعَائِي؟» فَقَالَتْ: وَمَا لِي لَا يَسُرُّنِي دُعَاؤُكَ؟، فَقَالَ ﷺ: «وَالله إِنَّهَا لَدُعَائِي لِأُمَّتِي فِي كُلِّ صَلَاةٍ»[3].

---

(١) [سورة المائدة، الآية ١١٨].

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لأُمَّتِهِ وَبُكَائِهِ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ، حديث رقم ٥٢٠.

(٣) صحيح ابن حبان، كتاب إِخْبَارِهِ ﷺ عَنْ مَنَاقِبِ الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ذِكْرُ مَغْفِرَةِ الله ﷻ ذُنُوبَ عَائِشَةَ مَا تَقَدَّمَ مِنْهَا وَمَا تَأَخَّرَ، حديث رقم ٧١١١.

وقد كان ﷺ أحفظ الناس للعهود، وأوفاهم بالمواثيق، وأكثرهم أداء للأمانات، ومن ثمة ترك الإمام علي رضي الله عنه ليلة الهجرة ليؤدي الأمانات لأصحابها من أهل مكة، وهم الذين آذوه وأخرجوه وحاولوا قتله، ولكن لم يقابل ﷺ السيئة إلا بالتي هي أحسن.

فوفاؤه ﷺ كان مضرب المثل في جميع جوانب حياته، ومن ذلك وفاؤه لوطنه، فكان رسول الله ﷺ يحب وطنه مكة حبًّا جمًّا، فلما خرج ﷺ من مكة نظر إليها نظرة المحب الوفي، وودَّعها، وهو يقول: «والله إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ الله، وَأَحَبُّ أَرْضِ الله إلى الله، ولولا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»[1]، ولما عاد إليها بعد سنوات دخلها فاتحًا، فرحًا، وعفا عن أهلها برغم ما فعلوه معه، وكان ﷺ يحبُّ عائشةَ، ويحبُّ أَبَاهَا، ويحبُّ أسامةَ، ويحب سبطَيْه، ويحب الحلواء والعسل، ويحب جبل أُحُدٍ، ويحب وطنه[2]، وقال عبد الملك بن قرَيْبٍ

(١) سُنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في فَضْلِ مَكَّةَ، حديث رقم: ٤٣٠٤، وسُنن **ابن** ماجه في أبواب المناسك، باب فضل مكة، حديث رقم ٣٢٢٧.

(٢) سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، ١٥/ ٣٩٤، ترجمة رقم ٢١٦، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

الأصمعي: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ووفاء عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوُّقه إلى أهله، وبكائه على ما مضى من زمانه [1].

ومن وفائه لأعدائه ما روي عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: «مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلاَّ أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي - حُسَيْلٌ - قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ الله وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلاَ نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ الله ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَر، فَقَالَ: «انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ الله عَلَيْهِمْ»[2].

ومن مواقفه ﷺ في الوفاء ما روي عن أبي رافع أنه قالَ: بعثتني قريشٌ إلى رسولِ الله ﷺ فلمَّا رَأيتُ رسولَ الله ﷺ أُلْقيَ في قَلبي الإسلامُ، فقُلتُ: يا رسولَ الله إنِّي والله لا أرجعُ إليهم أبدًا، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «إنِّي لا

(١) كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني، ط: دار إحياء التراث العربي، ١/ ٣٤٧، والآداب الشرعية لعبد الله محمد بن مفلح المقدسي، ١ / ٢٩٢، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عمر القيَّام . ط: مؤسسة الرسالة.

(٢) متفق عليه: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الوفاء بالعهد، حديث رقم ٢١٩.

أخيسُ بالعَهْدِ ولا أحبسُ البُرُدَ، ولَكِنِ ارجِع، فإن كانَ في نفسِكَ الَّذي في نَفسِكَ الآنَ فارجِعْ»، قالَ: فذَهَبتُ، ثمَّ أتيتُ النَّبيَّ ﷺ فأسلَمتُ[1].

وكان نبينا ﷺ يعامل أصحابه أفضل معاملة، يجيب دعوتهم، ويزور مرضاهم، ويشهد جنائزهم، ويشاركهم في أفراحهم وأحزانهم، ويحزن لحزنهم، ويفرح بفرحهم، ويقضي حوائجهم، وهو ما عبرت عنه السيدة خديجة رضي الله عنها بقولها: «إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»[2]، وها هو ﷺ يحفظ لها عهدها، ذلك أن عجوزًا كانت تزوره ﷺ فيقوم لها ويكرم وفادتها، فلما سألته السيدة عائشة رضي الله عنها عن سر إكرامه لها، قال ﷺ: «إنها كانت تأتينا على أيام خديجة»[3]، وكان ﷺ يقول: «مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ

(١) سُنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الإمام يستجن به في العهود، حديث رقم ٢٧٥٨.
(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، حديث رقم ٣، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، حديث رقم ٤٢٢.
(٣) المعجم الكبير للطبراني: مسند النساء، مناقب خديجة، حديث رقم ٢٣.

آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي الله ﷻ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ»[1].

وكانت الابتسامة لا تفارق وجهه الشريف ﷺ، بل كان كثير التبسم، ليِّن الجانب كما وصفه الله ﷻ في كتابه الكريم فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[2]، وكان ﷺ أشجع الناس وقدوة في التضحية والفداء، ومواجهة الأمور الصعبة، فكان الصحابة ﷺ إذا اشتدت الحرب يحتمون خلف النبي ﷺ، يقول سيدنا علي ﷺ: «كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ وَلَقِي الْقَوْمُ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ الله ﷺ، فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى إِلَى الْقَوْمِ مِنْهُ»[3].

(١) مسند أحمد: حديث رقم ٢٤٨٦٤.
(٢) [سورة آل عمران، الآية ١٥٩].
(٣) مسند أحمد، ٣/ ٣٦٩، حديث رقم ١٣٦٣.

وفي يوم حنين حين اضطرب المسلمون، وفرَّ عدد كبير منهم، وقتل وأصيب آخرون، ظل النبي ﷺ ثابتًا في مكانه لا يتزحزح، يضرب بسيفه يمينًا ويسارًا، مُناديًا بأعلى صوته: «أَنَا النَّبِي لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ»[1]، وما أن سمع المسلمون هذا النداء حتى عادت إلى قلوبهم الشجاعة، والتفوا مرة أخرى حول الرسول ﷺ يقاتلون، حتى تحقق لهم النصر.

وكان ﷺ أجود الناس، وأكرم الناس، وأسخى الناس، فقد سأل رَجُلٌ النبيَّ ﷺ غَنَمًا بيْنَ جَبَلَيْنِ، فأعْطَاهُ إيَّاهُ، فأتَى قَوْمَهُ فَقالَ: أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَ الله إنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً ما يَخَافُ الفَقْرَ، فَقالَ أَنَسٌ: إنْ كانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ ما يُرِيدُ إلَّا الدُّنْيَا، فَما يُسْلِمُ حتَّى يَكونَ الإسْلَامُ أَحَبَّ إلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَما عَلَيْهَا[2].

ومن النماذج التطبيقية في حياته ﷺ في الجود ما رواه سيدنا جبير بن مطعم رضي الله عنه أَنَّهُ بَينا هو يَسيرُ مع

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب مَنْ قَادَ دَابَّةَ غَيْرِهِ فِي الحَرْبِ، حديث رقم ٢٨٦٤، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، حديث رقم ٤٧١٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا، وكثرة عطائه، حديث رقم ٢٣١٢.

رَسـولِ الله ﷺ ومعـهُ النَّـاسُ مُقبِـلًا مِـن حُنَـينٍ، عَلِقَـتْ رَسـولَ الله ﷺ الأعـرابُ يَسـألونَهُ حتـى اضطَـرُّوهُ إلى سَـمُرةٍ، فخطِفَـتْ رِداءَهُ، فوقَـفَ رَسـولُ الله ﷺ، فقـال: أعطـوني رِدائـي، فلو كانَ عَـدَدُ هذه العِضـاهِ نَعَمًا لَقَسَـمتُهُ بينكـم، ثم لا تَجِـدوني بَخيـلًا، ولا كَذُوبًـا، ولا جَبانًا»[1].

وعَـنِ ابْـنِ شِـهَابٍ، قـالَ: خَـرَجَ رَسـولُ الله ﷺ بعـد فتـح مكـة بمَـن معـهُ مِـنَ الْمُسْـلِمِينَ، فَاقْتَتَلُـوا بحُنَـيْنٍ، فَنَـصَرَ الله دِينَـهُ وَالْمُسْـلِمِينَ، وَأَعْطَى رَسـولُ الله ﷺ يَومَئِذٍ صَفْـوَانَ بـنَ أُمَيَّـةَ مِئَـةً مِـنَ النَّعَـمِ، ثُـمَّ مِئَةً، ثُـمَّ مِئَـةً. قالَ ابـنُ شِـهَابٍ: حدَّثَنـي سَـعِيدُ بـنُ الْمُسَـيِّبِ، أنَّ صَفْـوَانَ قـالَ: والله لَقَـدْ أَعْطَـانِي رَسـولُ الله ﷺ مـا أَعْطَـانِي، وإنَّه لأَبْغَـضُ النَّـاسِ إلَيَّ، فَـما بَـرِحَ يُعْطِينِـي حتَّـى إنَّـه لأَحَبُّ النَّـاسِ إلَيَّ[2].

ومـن كرمـه ﷺ مـا روي عـن جريـر بـن عبـد الله رضي الله عنه قَـالَ: لَمَّـا بُعِـثَ النَّبِـيُّ ﷺ أَتَيْتُـهُ، فَقَـالَ: «يَـا جَرِيـرُ، لِأَيِّ

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن، حديث رقم ٣١٤٨.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال لا وكثرة عطائه، حديث رقم ٣٧١٢.

شَيْءٍ جِئْتَ؟» قُال: جِئْتُ لِأُسْلِمَ عَلَى يَدَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَأَلْقَى إِلَيَّ كِسَاءَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «إِذَا أتاكُم كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ»، وقال: وكان لا يراني بعد ذلك إلا تبسم فِي وجهي[1].

* * *

(١) المعجم الأوسط للطبراني: حديث رقم ٦٢٩٠.

النبي ﷺ معلمًا ومربيًا

لقد كان رسولنا محمد ﷺ نعم القدوة لأمته وللإنسانية جمعاء، حيث يقول الحق ﷻ وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]، فقد كان ﷺ خير الناس لأهله، حيث يقول ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[2].

وقد كانت حياته ﷺ ترجمة حقيقية لأخلاق وقيم القرآن الكريم، فعَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ[3]، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[4].

(١) [سورة الأحزاب، الآية ٢١].
(٢) سُنن الترمذي، كتاب المناقب، باب فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِي ﷺ، حديث رقم ٤٢٦٩.
(٣) مسند أحمد، ٤١/ ١٤٨، حديث رقم ٢٤٦٠١.
(٤) [سورة القلم، الآية ٤].

ولنأخذ بعض النماذج من سيرته ﷺ في الدعوة إلى الله ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة، منها ما كان منه ﷺ عندما قام أعرابي فبال في المسجد وهمَّ به بعض الحاضرين، فَقَالَ لَهُمْ سيدنا رسول الله ﷺ: «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[1].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ، مَهْ، فَقَالَ: «ادْنُهْ»، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا والله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ:»وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا والله يَا رَسُولَ الله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا والله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ:»وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟»

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الوضوء، بَابُ صَبِّ المَاءِ عَلَى البَوْلِ فِي المَسْجِدِ، حديث رقم ٢٢٠، وصحيح مسلم، كتاب الطهارة، بَابُ وُجُوبِ غُسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ إِذَا حَصَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ تَطْهُرُ بِالْمَاءِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى حَفْرِهَا، حديث رقم ٩٩.

قَالَ: لَا واللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا واللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ» قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللهمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»[1]، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.

وعن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ؛ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي؛ مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ؛ فواللهِ مَا كَهَرَنِي، وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ...»[2].

---

(١) مسند أحمد، ٣٦/ ٥٤٥، حديث رقم ٢٢٢١١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ، حديث رقم ١٢٢٧.

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ الله، قَالَ: «هَلْ حَضَرْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «قَدْ غُفِرَ لَكَ»[1]، وفي رواية قال: «فَإِنَّ الله قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ، أَوْ قَالَ: حَدَّكَ»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله هَلَكْتُ. قَالَ: «مَا لَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لاَ، فَقَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ

(١) متفق عليه: صحيح البخارى كتاب الحدود، باب إذا أقر بالحد ولم يبين، حديث رقم ٦٨٢٣، صحيح مسلم، كتاب التوبة، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [سورة هود، الآية ١١٤]، حديث رقم ٤٤.

(٢) صحيح البخارى كتاب الحدود، باب إذا أقر بالحد ولم يبين، حديث رقم ٦٨٢٣.

بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ - وَالعَرَقُ المِكْتَلُ - قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: «خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ الله؟ فَوَ الله مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا - يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»[1].

ولَمَّا سلط عليه أهل الطائف عبيدهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة، ولجأ إلى ربه ﷻ يدعوه ويضرع إليه، فأرسل الله ﷻ إليه ملك الجبال يقول له: يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا[2]»، وهنا يقول جبريل عليه السلام: «صدق من سماك الرءوف الرحيم»[3].

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب إِذَا جَامَعَ فِي رَمَضَانَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيءٌ فَتُصُدِّقَ عَلَيْهِ فَلْيُكَفِّرْ، حديث رقم ١٩٣٦.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ: حديث رقم ٣٢٢٤، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب مَا لَقِيَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَذَى المُشْرِكِينَ وَالمُنَافِقِينَ، حديث رقم ٤٧٥٤.

(٣) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين، الشيخ الخضري ط دار الفيحاء، دمشق ط٢، ١٤٢٥هـ ص٦١.

ولما دخل ﷺ مكة فاتحًا منتصرًا، قال: «يا أهل مكة، مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟» قَالُوا: خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»[1]، وذلك حيث يقول الحق ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[2]، ويقول ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وعندما وجد في نفوس بعض الأنصار شيئًا أن فضل عليهم في العطاء بعض حديثي الإسلام جمعهم ﷺ وقال: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَقَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ؟ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلّالًا فَهَدَاكُمْ الله بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ الله بِي؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ الله بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟» قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَمَنّ وَأَفْضَلُ، ثُمّ قَالَ: «أَلَا تُجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟» قَالُوا: بِمَاذَا نُجِيبُك يَا رَسُولَ الله؟ لله وَلِرَسُولِهِ الْمَنّ وَالْفَضْلُ. قَالَ: «مَا والله لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ

(١) السُّنن الكبرى للبيهقي، كتاب السير، باب فَتْحِ مَكَّةَ حَرَسَهَا الله تَعَالَى، حديث رقم ١٨٧٣٩.
(٢) [سورة آل عمران، الآية ١٥٩].
(٣) [سورة التوبة، الآية ١٢٨].

فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ»، أَوَجَدْتُمْ عَلَيَّ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا؟ وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ، أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ الله إِلَى رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءًا مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَوَادِيًا، وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا وَوَادِيًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ وَوَادِيَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، اللهمّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسمًا وحظًّا»[1].

فليتنا نتأسى ونقتدي به ﷺ في أخلاقنا وفي دعوتنا إلى الله ﷻ.

(١) مسند أحمد، ٢٥/ ٨١، حديث رقم ١٢٠٤٩، وأصل الحديث متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مَنَاقِبُ الأَنْصَارِ، حديث رقم ٣٧٧٨، و صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الإِسْلاَمِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ، حديث رقم ٢٤٨٦.

بلاغة الرسول ﷺ

كان نبينا ﷺ أفصح العرب وأبلغهم، وقد أوتي ﷺ جوامع الكلم، وكان ﷺ يحسن تذوق الكلام ونقده، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلًا - أَوْ أَعْرَابِيًّا - أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ بَيِّنٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً»[1].

ويصف الجاحظ كلام النبي ﷺ فيقول: وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجَلَّ عن الصَّنعة، ونُزِّه عن التكلف..، فلم ينطِقْ إلا عن مِيراثِ حكمَةٍ، ولم يتكلَّم إلا بكلامٍ قد حُفَّ بالعصمة، وشُيِّد بالتأييد، ويُسِّرَ بالتوفيق، وهو الكلامُ الذي ألقَى الله عليه المحبّةَ، وغشَّاهُ بالقَبول، وجمع له بين المهابة

(١) الأدب المفرد للبخاري، بَابُ مَنْ قَالَ: إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا، حديث رقم ٨٧٢، المعجم الكبير للطبراني، حديث رقم ٧٥٦.

والحلاوة، وبَيْن حُسنِ الإفهام، وقلّة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقِلّةِ حاجة السامع إلى معاوَدته، لم تسقط له كلمة، ولا زَلّت به قَدَم، ولا بارَتْ له حجَّة، ولم يَقُم له خَصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذُّ الخُطَبَ الطِّوال بالكلِم القِصار ولا يَلتمِس إسكاتَ الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتجُّ إلا بالصِّدق ولا يطلب الفَلْج إلا بالحق، ولا يستعين بالخِلابة، ولا يستعمل الموارَبة، ولا يهمِز ولا يَلْمِز، ولا يُبْطِئ ولا يَعْجَل، ولا يُسْهِب ولا يَحْصَر، ثم لم يَسْمع الناسُ بكلام قَطّ أعمَّ نفعًا، ولا أقصَدَ لفظًا، ولا أعدلَ وزنًا، ولا أجملَ مذهبًا، ولا أكرَم مطلبًا، ولا أحسنَ موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنًى، ولا أبين في فحوَى، من كلامه ﷺ كثيرًا[1].

ومن جوامع كلمه ﷺ أنه سُئِل: مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»[2]، ووعَظ ﷺ رجلاً، فقال: «إِذَا قُمْتَ فِي

(١) البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ص ٢٢٤، ط: دار صعب، بيروت. الطبعة الأولى، ١٩٦٨ . تحقيق: المحامي فوزي عطوي.
(٢) سُنن الترمذي، أبواب الزهد، باب مَا جَاءَ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ، حديث رقم ٢٥٨٦.

صَلاَتِـكَ فَصَـلِّ صَلاَةَ مُـوَدِّعٍ، وَلاَ تَكَلَّمْ بِـكَلاَمٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَـدًا، وَاجْمَـعِ الإِيَـاسَ مِمَّـا فِي يَـدَيِ النَّـاسِ»[1]، وقال ﷺ: «حُسْـنُ الْخُلُـقِ نَمَاءٌ، وَسُـوءُ الْخُلُـقِ شُـؤْمٌ، وَالْبِرُّ زِيَـادَةٌ فِي الْعُمُـرِ، وَالصَّدَقَـةُ تَمْنَعُ مِيتَةَ السَّـوْءِ»[2]، وقـال ﷺ: «أربعٌ إذا كُـنَّ فيـك فلا عليـك ما فاتك مـن الدُّنيا: حفـظُ أمانةٍ، وصـدقُ حديـثٍ، وحسـنُ خُلـقٍ، وعِفَّـةٌ في طُعمـةٍ»[3]، وقـال ﷺ: «اتَّـقِ الْمَحَـارِمَ تَكُـنْ أَعْبَـدَ النَّـاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَـمَ اللهُ لَـكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّـاسِ، وَأَحْسِـنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًـا، وَأَحِـبَّ لِلنَّـاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِـكَ تَكُنْ مُسْـلِمًا، وَلاَ تُكْثِـرِ الضَّحِـكَ، فَـإِنَّ كَثْـرَةَ الضَّحِـكِ تُمِيـتُ الْقَلْبَ»[4].

وكان ﷺ يسـتمع إلى الشـعر ويثيـب عليـه، وقـد حث في بعـض المواقـف عـلى قولـه، ودعـا إلى إنشـاده، فحـين تطاول بعض شـعراء المشركين علـى الرسـول ﷺ وعلى

(١) مسند أحمد، ٥١ / ٢٦١، حديث رقم ٢٤٢١٣.
(٢) مسـند أحمد، ٣٤ / ٢٩٠، حديث رقم ١٦٥٠٦، وأخرجه أبو داود بلفظ: (حُسْنُ الْمَلَكَةِ نَمَاءٌ، وَسُوءُ الْخُلُقِ شُؤْمٌ)، سُنن أبي داود، كتاب الأدب، باب فِي حَقِّ الْمَمْلُوكِ، حديث رقم ٥١٦٤.
(٣) مسند أحمد، ١٤ / ٣٤١، حديث رقم ٦٨١٢.
(٤) سُنن الترمذي، كتاب الزهد، باب مَنِ اتَّقَى الْمَحَارِمَ فَهُوَ أَعْبَدُ النَّاسِ، حديث رقم ٢٤٧٥.

دعوته، قال ﷺ: ما يمنع القوم الَّذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم، وكان يقول لحسان بن ثابت: «قل وروح القدس معك»، وفي رواية «أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدُسِ»[1].

كما أنه ﷺ كان من أقدر الناس على تذوقه ونقده، وكيف لا يكون كذلك وهو أفصح العرب كافة؟!

ومن نماذج ذلك:

١ - أنشده كعب بن زهير رضي الله عنه في قصيدته الرائعة المعروفة بالبردة والتي يقول فيها[2]:

أُنْبِئْتُ أنَّ رَسُولَ الله أَوْعَدَني
والعَفْوُ عَنْدَ رَسُولِ الله مَأْمُولُ
إنَّ الرَّسُولَ لَنورٌ يُسْتَضاءُ بِهِ
مُهَنَّدٌ مِنْ سُيوفِ الله مَسْلُولُ

(١) انظر: مسند أحمد حديث رقم ٢١٩٣٦.
(٢) مستدرك الحاكم: حديث رقم ٦٤٧٧، والسُّنن الكبرى للبيهقي، كتاب الشهادات، باب مَنْ شَبَّبَ فَلَمْ يُسَمِّ أَحَدًا لَمْ تُرَدَّ شَهَادَتُهُ، حديث رقم ٢١٦٧٢.

فلما انتهى من إنشادها ألقى عليه النبي ﷺ بردته الشريفة إكرامًا له.

وأنشده حسان بن ثابت رضي الله عنه في رده على أبي سفيان ابن الحارث[1]:

هجوتَ محمدًا فأجبتُ عنه

وعند الله في ذاك الجزاءُ

فقال له النبي ﷺ: «جَزَاؤُكَ عَلَى الله الْجَنَّةُ يَا حَسَّانُ»، ثم قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

فإنَّ أبي ووالده وعرضي

لعرض محمدٍ منكم وقاءُ

فقال له: «وقاك الله حر النار يا حسان»، فدعا له بالجنة مرتين في ساعة واحدة[2].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فَضَائِلِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، حديث رقم ٦٥٥٠. عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: (اهْجُوا قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ)، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: (اهْجُهُمْ)، فَهَجَاهُمْ، فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ...الحديث.

(٢) العمدة لابن رشيق، تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: دار الجيل، بيروت ١/ ٥٣.

٢ – أتى النابغة الجعدي رسول الله ﷺ وأنشده قوله:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى

ويتلو كتابًا كالمجرة نيرا

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا

وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال النبي ﷺ: إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال: إلى الجنة يا رسول الله، قال: أجل إن شاء الله، ثم أنشده الجعدي قوله:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له

بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير فى جهل إذا لم يكن له

حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال رسول الله ﷺ: أَجَدْتَ، لا يفضض الله فاك، فبقي عمره لم تسقط له سن، وكان معمرًا [1].

(١) انظر: جامع الأحاديث جلال الدين السيوطى، ٣٨/ ١٣٣، مسند النابغة الجعدى، رقم ٤١٢٠٥، ٤١٢٠٦، الشعر والشعراء، ص ١٨١، ودلائل الإعجاز ص ٢١، ٢٢، وجمهرة أشعار العرب، ص٢٣.

٣ - مر النبي ﷺ ومعه أبو بكر ﷺ برجل يقول في بعض أزقة مكة:

يا أيها الرجل المحول رحله

هلا نزلت بآل عبد الدار

فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر، أهكذا قال الشاعر؟ قال: لا، يا رسول الله، ولكنه قال:

يا أيها الرجل المحول رحله

هلا سألت عن آل عبد مناف

فقال ﷺ: هكذا كنا نسمعها [1].

٤ - وعندما قال عبد الله بن رواحة:

نجالد الناس عن عرض ونأسرهم

فينا النبي وفينا تنزل السور

وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا

حي من الناس إن عزوا إن كثروا

(١) دلائل الإعجاز، ص ٢١، وانظر: الأمالي للقالي، ١ / ٢٨٩، ٢٩٠، والشعر لمطرود بن كعب الخزاعي يرثي عبد المطلب جد النبي ﷺ.

فلما انتهى إلى قوله في النبي ﷺ:

فثبت الله ما أعطاك من حسن

تثبيت موسى ونصرًا كالذي نصروا

أقبل عليه النبي ﷺ بوجهه، وقال: وإياك فثبت الله يا ابن رواحة[1].

٥ - روي أن أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها أنشدت قول قيس بن معدان الكلبي:

عدي وتيم تبتغي من تحالف[2]

فظنت عائشة وحفصة رضي الله عنهما أنها عرضت بهما، وجرى بينهن كلام في هذا المعنى، إذ كان أبو بكر رضي الله عنه من تيم قريش، وعمر رضي الله عنه من عدي قريش، فأخبر النبي ﷺ بذلك فدخل عليهن، وقال: «يا ويلكن، ليس في عديكن ولا تيمكن قيل هذا، وإنما قيل هذا في عدي تميم وتيم تميم»[3]. وفي ذلك بيان مدى فطنته ﷺ ومعرفته بدقائق الأخبار.

---

(١) العمدة ١ / ٢١٠.

(٢) هذا عجز بيت، وصدره: ألا من رأى العبدين أو ذُكِرا له؟ عدي وتيم...

(٣) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر، تحقيق: أ. محمود شاكر، ط: مكتبة الخانجي ١٩٨٤م، ص ٢٠.

عن محمد بن سلمة الأنصاري قال: كنا يومًا عند النبي ﷺ فقال لحسان بن ثابت رضي الله عنه: أنشدني قصيدة من شعر الجاهلية، فإن الله قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايته، فأنشده قصيدة للأعشى هجا بها علقمة بن علاثة يقول فيها:

علقم ما أنت إلى عامر

الناقض الأوتار والواتر؟!

فقال النبي ﷺ: يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا، فقال: يا رسول الله، تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر؟ فقال النبي ﷺ: يا حسان، أشكر الناس للناس أشكرهم لله تعالى، وإن قيصر سأل أبا سفيان عني فتناول مني - وفي رواية فشعث مني - وإنه سأل هذا - يعني علقمة بن علاثة - عني فأحسن القول، فشكره رسول الله ﷺ على ذلك. وروي أن حسان قال - بعد أن سمع ما سمع من رسول الله ﷺ: يا رسول الله من نالتك يده وجب علينا شكره[1].

(١) انظر: جامع الأحاديث، ٣٨/ ٣٥، مسند محمد بن مسلمة، رقم ٤١٠١٩، دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر، ص ١٩.

٧ - لما سمع النبي ﷺ قول كعب بن زهير- قبل إسلامه - يحذر أخاه بجيرًا من اتباع الرسول ﷺ، فيقول:

ألا من مبلغ عني بجيرًا رسالة
فهل لك فيما قلت ويحك هل لك
سقاك بها المأمون كأسًا روية
فأنهلك المأمون منها وعلكا
ففارقت أسباب الهدى واتبعته
على أي شيء ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أمًا ولا أبا
عليه ولم تعرف عليه أخا لكا
فإن أنت لم تفعل فلست بآسف
ولا قائل إما عثرت لعًا لكا

فلما سمع ﷺ قوله: (سقاك بها المأمون) قال: مأمون والله- فقد كانوا يسمون رسول الله ﷺ المأمون - ولما سمع قوله:

على خلق لم تلف أما ولا أبا

عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخًا لَكَا

قال ﷺ: أجل، لم يلف عليه أباه ولا أمه، ثم قال: «من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله».

ثم جاءه كعب تائبًا، وأنشده قصيدته التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم إثرها لم يفد مكبول

فلما انتهى إلى قوله:

أَنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي

والعَفْوُ عَنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ

إنَّ الرَّسُولَ لَنورٌ يُسْتَضاءُ بِهِ

مُهَنَّدٌ مِنْ سُيوفِ اللهِ مَسْلُولُ

ألقى النبي ﷺ [1] عليه بردة كان يلبسها، ويروى أن النبي ﷺ أصلح البيت، إذ قال كعب: مهند من

(١) راجع: المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم بن نعيم النيسابوري، ٣/ ٦٧٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، حديث رقم ٦٤٧٧، شرح قصيدة كعب بن زهير لابن هشام، ص ٣٣ وما بعدها.

سيوف الهند، فقال ﷺ: من سيوف الله[1]، فأقام اللفظ والمعنى.

فلما وصل كعب إلى قوله في وصف أصحاب النبي ﷺ:

في فتية من قريش قال قائلهم
ببطن مكة لما أسلموا زولوا[2]
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف
عند اللقاء ولا ميل معازيل[3]
شم العرانين أبطال لبوسهم
من نسج داود في الهيجا سرابيل[4]
لا يفرحون إذا زالت رماحهم
قومًا وليسوا مجازيعا إذا نيلوا[5]

(١) انظر: محاضرات في النقد الأدبي للأستاذ الدكتور. محمد عرفة المغربي، ص ٣٧.
(٢) زولوا: انتقلوا من مكة إلى المدينة، يعنى الأمر بالهجرة.
(٣) الأنكاس: جمع نكس، وهو الضعيف المهين، الكشف: جمع أكشف، وهو من لا ترس معه في الحرب، الميل: جمع أميل، وهو الذى لا سيف معه، أو الذى لا يحسن الركوب، المعازيل: جمع معزال، وهو الذي لا سلاح معه.
(٤) الشم: جمع أشم، وهو الذي في قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه. العرانين: جمع عرنين وهو الأنف، والمراد أن فيهم استعلاء وأنفه. والسرابيل: جمع سربال، وهو الدرع أو كل ما يلبس في الحرب.
(٥) مجازيع: جمع مجزاع، وهو الشديد الجزع.

جعل النبي ﷺ ينظر إلى من كان بحضرته من قريش كأنه يومئ إليهم أن اسمعوا [1].

روي أن الأعشى - ميمون بن قيس - خرج يريد النبي ﷺ، فقال شعرًا، حتى إذا كان ببعض الطريق نفرت به راحلته فقتلته، ولما أنشد - بالبناء للمجهول - شعره الذي يقول فيه:

فآليت لا أرثى لها من كلالة

ولا من حفا حتى تلاقي محمدًا

متى ما تناخى عند باب ابن هاشم

تفوزي وتلقي من فواضله يدا

قال النبي ﷺ:كاد ينجو ولما [2]، أي ولم يحصل له الفوز بالإسلام والنجاة.

٩ - وفي كتاب الأغاني للأصبهاني أن النبي ﷺ علق على شعر ثلاثة من الأنصار حسان بن ثابت، وكعب

(١) انظر: شرح قصيدة كعب بن زهير لابن هشام، ص ٢٧٢.
(٢) جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي، ص٦٧، ط: دار صادر بيروت.

بـن مالـك، وعبد الله بـن رواحة، فقـال: «أمـرت عبد الله بـن رواحة فقال وأحسـن، وأمـرت كعب بـن مالك فقال وأحسـن، وأمرت حسـان بن ثابت فشـفى واشـتفى»[1].

وحقًّـا إن حسـان يتقدم صاحبيه في الشـعر بصفة عامة، فهـو أشـعر شـعراء المدينـة[2]، وفي هجـاء أعداء الإسـلام بصفـة خاصـة، إذ بلغ فيـه درجة جعلت الأعـداء يرهبون لسـانه، «ولقسـوة هجائـه اسـتعاذ الحـارث بن عـوف منه بالرسـول ﷺ قائـلاً: يـا محمـد أنـا عائذ بـك من شِـعْرِه، فلـو مزج البحر بشـعره مزجـه»[3].

١٠- وفي مجـال الاستحسـان كان ﷺ كثـيرًا مـا يقـول للسـيدة عائشـة رضي الله عنها: أبياتـك، فتنشـده:

ارفع ضعيفـك لا يحر بـك ضعفه

يومًا فتـدركه العواقب قـد نما

يجزيك أو يثني عليـك وإن مـن

أثنى عليك بما فعلـت فقد جـزى

(١) الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، ٤/ ٦، ط:مطبعة التقدم بمصر .
(٢) انظر: طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١/ ٢١٥.
(٣) حسان بن ثابت، لمحمد إبراهيم جمعة، ص ٥٨، ط : دار المعارف.

فيقـول ﷺ: «يقـول الله ﷻ لعبـد مـن عبيـده: صنـع إليـك عبدي معروفًـا فهل شـكرته عليه؟ فيقـول: يارب، علمـت أنـه منك فشـكرتك عليـه»، قال: فيقـول الله ﷻ: «لم تشـكرني، إذ لم تشـكر مـن أجريتـه على يـده»[1].

وعندما سـمع ﷺ قـول قتيلـة بنت النضر بـن الحارث تبكـي أباهـا، وتعتب عـلى النبي ﷺ في قتلـه، فتقول:

يا راكبا إن الأثيـــل مظنـــة
من صبح خامسة وأنت مـوفق
أبلـــغ بـه مَيْتًـا بـأن قصيـدة
مـــا إن تزال بها الركائب تخفق
مني إليه، وعبرة مسفوحـــة
جـــادت لمائحها وأخرى تخنق
فليسـمعن النضر إن نـــاديته
أم كيف يسـمع ميت لا ينطـق؟

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر، ص ١٩، ٢٠، وقد ذكر الشـيخ محمود شاكر في تحقيقه أن الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ١ / ١٦٣.

ظلت سيوف بني أبيه تنوشــه

لله أرحــام هنــاك تشقــق

قسرًا يقــاد إلى المنيــة متعبًا

رسف المقيد وهو عان مــوثق

أمحمد هــا أنت نجل نجيــبة

من قومـها والفحل فحـل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربمــا

مَنَّ الفتى وهو المغيظ المــحنق

والنضر أقرب من قتلت وسيلة

وأحقهــم إن كــان عتق يعتق

قال ﷺ: لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه[1].

* * *

(١) انظر: السنن الصغير للبيهقي، ٣/ ٣٨٤، تحقيق: عبد المعطى أمين، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، حديث رقم ٢٨٢٦، العمدة لابن رشيق، ١ / ٥٦، وانظر السيرة النبوية لابن هشام٢ / ٢٩، ٣٠.

مهارات التواصل الدعوي
في السنة النبوية المشرفة

لقد ضرب لنا نبينا ﷺ أعظم المثل في استخدام مهارات التواصل الدعوي بمختلف أنواعها، حتى وإن لم يسمها بذلك، أو لم تعرف في زمانه ﷺ بهذا الاسم، فقد أداها بما آتاه الله ﷻ وعلمه إياه من البلاغة والفصاحة والبيان، وما آتاه من جوامع الكلم وأدواته ووسائله، ومع ذلك كله حرص ﷺ على التنوع في الأسلوب واستخدام سائر مهارات التواصل الدعوي للنفاذ إلى عقل المتلقي وقلبه، وإثارة اهتمامه وانتباهه، وإيقاظ مشاعره، ومن هذه المهارات:

١ - مهارات لغة الجسد الرصينة المتزنة، كتغيير وضع الجسد لإثارة الانتباه، ومن ذلك قوله ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِالله، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ:

«أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ لاَ يَسْكُتُ»[1].

فلا شك أن تغيير النبي ﷺ وضعه من الاتكاء إلى الجلوس كان على سبيل إثارة انتباه السامع والمتلقي إلى أهمية ما سيلقي من الكلام، وأن له خصوصية اقتضت تغيير النبي ﷺ لوضع جسده الشريف من الاتكاء إلى الجلوس، تأكيدًا على خطورة وأهمية ما سيذكر بعده من التحذير من قول الزور، وشهادة الزور، لما يترتب عليهما من الظلم وضياع الحقوق، والتحذير من خطورة الوقوع فيه ومغبته وسوء عاقبته.

ومنها الإشارة إلى القلب، حيث يقول ﷺ: «إِنَّ الله لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ»[2]، ويقول ﷺ: «لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ

(١) متفق عليه: صحيح البخاري،كتاب الأدب، باب عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْكَبَائِرِ، حديث رقم ٥٩٧٦. وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، حديث رقم ٢٦٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ، وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ، حديث رقم ٢٥٦٤.

بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا»، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»[1].

ومنها الإشارة ببعض أصابعه كالإشارة بالسبابة والوسطى، حيث يقول نبينا ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا»[2]، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلاَ صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ»، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى..[3]، ويقول ﷺ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ»، وَضَمَّ أَصَابِعَهُ[4].

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا﴾، حديث رقم ٥١٤٣، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ، حديث رقم ٢٥٦٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان، حديث رقم ٥٣٠٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تَخْفِيفِ الصَّلاَةِ وَالْخُطْبَةِ، حديث رقم ٢٠٤٢.

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فَضْلِ الإِحْسَانِ إِلَى الْبَنَاتِ، حديث رقم ٢٦٣١.

ومنهـا الإشـارة إلى اللسـان، حيـث يقـول ﷺ لأصحابه: «أَلاَ تَسْـمَعُونَ إِنَّ الله لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَـيْنِ وَلاَ بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِـنْ يُعَـذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَـارَ إِلَى لِسَـانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ»(١).

٢ - اسـتخدام لغـة الأرقام للتحديد والحـصر، أو التقريب الذهنـي، عـلى حـد قولـه ﷺ: «ثَـلاَثٌ مَـنْ كُـنَّ فِيـهِ وَجَـدَ حَـلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُـولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِـوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِـبَّ الْـمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لله، وَأَنْ يَكْـرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْـرَهُ أَنْ يُقْـذَفَ فِي النَّـارِ»(٢)، وقولـه ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِـقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَـدَّثَ كَـذَبَ، وَإِذَا وَعَـدَ أَخْلَـفَ، وَإِذَا اؤْتُمِـنَ خَـانَ»(٣)، وقولـه ﷺ: «أَرْبَـعٌ مَـنْ كُـنَّ فِيـهِ كَانَ مُنَافِقًـا خَالِصًـا، وَمَـنْ كَانَـتْ فِيهِ خَلَّـةٌ مِنْهُنَّ كَانَـتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِـنْ نِفَاقٍ حَتَّـى يَدَعَهَا: إِذَا حَـدَّثَ كَـذَبَ، وَإِذَا عَاهَـدَ غَـدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَـفَ، وَإِذَا خَاصَـمَ فَجَرَ»(٤).

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الْبُكَاءِ عِنْدَ الْمَرِيضِ، حديث رقم ١٣٠٤، وصحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الْبُكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ، حديث رقم ٢١٧٦.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيـمان، باب حَلاَوَةِ الإِيمَانِ، حديث رقم ١٦، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ خِصَالٍ مَنِ اتَّصَفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ، حديث رقم ١٧٤.

(٣) متفـق عليه: صحيـح البخاري، كتاب الإيمان، بـاب عَلاَمَةِ الْمُنَافِـقِ، حديث رقم: ٣٣، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ، حديث رقم ٢٢٠.

(٤) متفـق عليه: صحيح البخـاري، كتاب الإيمان، بـاب عَلاَمَةِ الْمُنَافِـقِ، حديث رقم ٣٤، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ، حديث رقم ٢١٩.

وقولـه ﷺ: «بُنِـيَ الإِسْـلاَمُ عَـلَى خَمْـسٍ، شَـهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّـدًا رَسُـولُ اللهِ، وَإِقَـامِ الصَّـلاَةِ، وَإِيتَاءِ الـزَّكَاةِ، وَالْحَـجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَـانَ»[1]، وقولـه ﷺ: «اغْتَنِمْ خَمْسًـا قَبْـلَ خَمْـسٍ، شَـبَابَكَ قَبْـلَ هَرَمِـكَ، وَصِحَّتَـكَ قَبْلَ سَـقَمِكَ، وَغِنَـاكَ قَبْـلَ فَقْـرِكَ، وَفَرَاغَـكَ قَبْـلَ شُـغلِكَ، وَحَيَاتَـكَ قَبْـلَ مَوْتِـكَ»[2]، وقولـه ﷺ: «حَقُّ الْمُسْـلِمِ عَلَى الْمُسْـلِمِ سِـتٌّ»، قِيـلَ: مَـا هُـنَّ يَـا رَسُـولَ اللهِ ؟ قَـالَ: «إِذَا لَقِيتَـهُ فَسَـلِّمْ عَلَيْـهِ، وَإِذَا دَعَـاكَ فَأَجِبْـهُ، وَإِذَا اسْـتَنْصَحَكَ فَانْصَـحْ لَـهُ، وَإِذَا عَطَـسَ فَحَمِـدَ اللهَ فَشَـمِّتْهُ، وَإِذَا مَـرِضَ فَعُـدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»[3]، وقولـه ﷺ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَـبْعًا، هَـلْ تَنْظُـرُونَ إِلاَّ فَقْـرًا مُنْسِـيًا، أَوْ غِنًـى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِـدًا، أَوْ هَرَمًـا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِـزًا، أَوِ الدَّجَّالَ فَـشَرُّ غَائِـبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّـاعَةَ فَالسَّـاعَةُ أَدْهَـى وَأَمَرُّ»[4]،

---

(١) متفـق عليه: صحيح البخاري، كتـاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بني الإسـلام على خمس»، حديث رقم ٨، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ»، حديث رقم ٧.

(٢) شـعب الإيمان، الحادي و السبعون من شـعب الإيمان، وهو باب في الزهد وقصر الأمل، ١٢/ ٤٧٦، حديث رقم ٩٧٦٧.

(٣) متفق عليه واللفظ لمسـلم: صحيح البخـاري، كتاب الجنائز، باب الأَمْرِ بِاتِّبَـاعِ الْجَنَائِزِ، حديث رقم ١٢٤٠، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ لِلْمُسْلِمِ رَدُّ السَّلاَمِ، حديث رقم ٥٧٧٨.

(٤) سُنن الترمذي، كتاب الزهد، باب مَا جَاءَ فِي الْمُبَادَرَةِ بِالْعَمَلِ، حديث رقم ٢٤٧٦.

وقولـه ﷺ: «اجْتَنِبُـوا السَّـبْعَ الْمُوبِقَـاتِ، قَالُـوا: يَا رَسُـولَ الله، وَمَـا هُـنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بالله، وَالسِّـحْرُ، وَقَتْـلُ النَّفْسِ الَّتِـي حَـرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَـقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَـا، وَأَكْلُ مَـالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّـوَلِّي يَـوْمَ الزَّحْـفِ، وَقَـذْفُ الْمُحْصَنَـاتِ الْمُؤْمِنَـاتِ الْغَافِـلاَتِ»[1].

٣- اسـتخدامه ﷺ للرسـم التوضيحـي كمهـارة مـن مهـارات التواصـل، فعـن ابـن مسـعُودٍ رضي الله عنه قَـالَ: خَـطَّ النَّبِـيُّ ﷺ خَطًّـا مُرَبَّعًـا، وخَـطَّ خَطًّـا فِي الوَسَـطِ خَارِجًـا منْـهُ، وَخَـطَّ خُططًـا صِغَـارًا إِلى هَذَا الَّـذِي فِي الوَسَـطِ مِنْ جَانِبِـهِ الَّذِي فِي الوَسَـطِ، فَقَالَ: هَذَا الإِنسَـانُ، وَهَـذَا أَجَلُهُ مُحِيطًـا بِـهِ - أَوْ قَـد أَحَـاطَ بِـهِ - وَهَـذَا الَّـذِي هُـوَ خَـارِجٌ أَمَلُـهُ، وَهَذِهِ الخُطَـطُ الصِّغَارُ الأَعْـرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَـأَهُ هَذَا نَهَشَـهُ هَـذا، وَإِنْ أَخْطَـأَهُ هَذا نَهَشَـهُ هَـذا»[2].

وعنـه رضي الله عنه قـال: «خـطَّ رسـولُ الله ﷺ خطًّـا بيـدِه، ثم قـال: هـذا سـبيلُ الله مسـتقيمًا، وخـطَّ خطوطًا عـن يمينِه

(١) متفق عليه: صحيح البخـاري، كتاب الوصايا، باب قَوْلِ الله تَعَـالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَـيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، حديث رقم ٢٧٦٦، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، حديث رقم ٢٧٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأَمَلِ وَطُولِهِ، حديث رقم ٦٤١٧.

وشمالِه، ثم قال: هذه السبلُ ليس منها سبيلٌ إلا عليه شيطانٌ يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1][2].

٤- استخدام ضرب الأمثلة التوضيحية، ومنها: ما روي عن أبي موسى ﷺ أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[3].

ومنه أيضا: ما روي عن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ

---

(١) [سورة الأنعام، الآية١٥٣].

(٢) مسند أحمد، ٧/ ٤٣٦، حديث رقم ٤٤٣٧، وأخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأَمَلِ وَطُولِهِ، حديث رقم ٦٤١٧. ولفظه: عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطُطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ، مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ وَقَالَ: «هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطُطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا».

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الذبائح، باب الْمِسْكِ، حديث رقم ٥٥٣٤، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب اسْتِحْبَابِ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ وَمُجَانَبَةِ قُرَنَاءِ السَّوْءِ، حديث رقم ٦٨٦٠.

وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1].

٥- استخدام أسلوب الاستفهام في الخطاب الدعوي، يقول نبينا ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ»، قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[2].

وفيه أيضًا الإلغاز لتنشيط أذهان المستمعين، ومنه ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ قَالَ: فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي.

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رَحْمَةِ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، حديث رقم ٦٠١١، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم ٦٧٥١.

(٢) صحيح مسلم،كتاب البر والصلة والآداب، باب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم ٦٧٤٤.

قَـالَ عَبْدُ الله: فَوَقَعَ فِي نَفْسِـي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، ثُـمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِـيَ يَا رَسُـولَ الله، قَـالَ: «هِـيَ النَّخْلَةُ»(١).

٦- ومـن مهارات التواصـل الدعوي في السـنة النبوية مهارات اسـتخدام أسـلوب الإقناع والاسـتدلال العقلي، وتأييـده بـما هو مُسَـلَّم بـه لـدى المتلقـي في أرض الواقع، ومنـه مـا روي عَـنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُـولَ الله ﷺ جَاءَهُ أَعْـرَابِيٌّ، فَقَـالَ: يَـا رَسُـولَ الله، إِنَّ امْـرَأَتِي وَلَـدَتْ غُلَامًـا أَسْـوَدَ، فَقَـالَ: «هَلْ لَـكَ مِنْ إِبِـلٍ»، قَـالَ: نَعَمْ، قَـالَ: «مَا أَلْوَانُهَـا»، قَـالَ: حُمْـرٌ، قَـالَ: «هَـلْ فِيهَـا مِـنْ أَوْرَقَ»، قَالَ: نَعَـمْ، قَـالَ: «فَأَنَّـى كَانَ ذَلِـكَ»، قَـالَ: أُرَاهُ عِـرْقٌ نَزَعَـهُ، قَـالَ: «فَلَعَـلَّ ابْنَكَ هَـذَا نَزَعَهُ عِـرْقٌ»(٢).

٧- التبسـم كنايـة عـن الرضـا، ومنـه مـا روي عـن أبي ذر ﷺ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَـمُ آخِـرَ

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب طَرْحِ الإِمَامِ الْمَسْـأَلَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ لِيَخْتَبِرَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ، حديث رقم ٦٢، وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ، حديث رقم ٧٢٧٦.

(٢) متفق عليه: صحيـح البخاري، كتاب الطلاق، بَابُ إِذَا عَـرَّضَ بِنَفْيِ الوَلَدِ، حديث رقم ٥٣٠٥، وصحيح مسـلم، كتاب الطلاق، بَابُ انْقِضَاءِ عِدَّةِ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، وَغَيْرِهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ، حديث رقم ١٥٠٠.

أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لاَ أَرَاهَا هَا هُنَا، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»[1].

٨- الإعراض كناية عن عدم الرضا، ومنه عن أنس رضي الله عنه قال: اسْتَشَارَ رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ فِي الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ: «إِنَّ الله قَدْ أَمْكَنَكُمْ مِنْهُمْ»، قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، اضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ، قَالَ: فَأَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: ثُمَّ عَادَ رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الله قَدْ أَمْكَنَكُمْ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا هُمْ إِخْوَانُكُمْ بِالْأَمْسِ»، قَالَ:

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار حديث رقم ١٦٥٧١ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، حديث رقم ٤٨٧ واللفظ المسلم .

فَقَامَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله: اضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ، قَالَ: فَأَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: ثُمَّ عَادَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لِلنَّاسِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، نَرَى أَنْ تَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَتَقْبَلَ مِنْهُمُ الْفِدَاءَ، قَالَ: فَذَهَبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْغَمِّ، قَالَ: فَعَفَا عَنْهُمْ، وَقَبِلَ مِنْهُمُ الْفِدَاءَ..»[1].

٩- تكرار الكلمة أو الجملة لتثبيت الأمر في عقل السامعين والصبر على السائلين وعدم التضجر من أسئلتهم، ومنه ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه

(١) مسند أحمد، ٢١ / ١٨١، حديث رقم ١٣٥٥٥، وفي حديث ابن عباس ا في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإِمْدَادِ بِالْمَلاَئِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ، حديث رقم ٤٦٨٧ . ولفظه: (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاَءِ الأُسَارَى». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا نَبِي الله هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى الله أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ»، قُلْتُ : لاَ والله يَا رَسُولَ الله مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلاَنٍ - نَسِيبًا لِعُمَرَ - فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَإِنَّ هَؤُلاَءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِي رَسُولُ الله ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ». شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ الله ﷺ، وَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ) إِلَى قَوْلِهِ: (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا) فَأَحَلَّ الله الْغَنِيمَةَ لَهُمْ).

قال: «رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ»، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»[1].

مع تأكيدنا على أن مهارات التواصل الدعوي في عصرنا الحاضر تتطلب - إضافة إلى كل هذه المهارات التي نتعلمها من سنة سيدنا رسول الله ﷺ - الإلمام الكافي بالتعامل مع سائر وسائل التواصل العصرية والتكنولوجية ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة بمهارات فائقة تواكب العصر ومستجداته ومتطلباته.

* * *

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ، حديث رقم ٦٦٧٤.

أساليب التواصل الدعوي
في السنة النبوية المشرفة

أولًا: الخطابة:

لقد نهضت الخطابة في صدر الإسلام نهضة عظيمة، فَعَلا شأنها، وارتفع قدرها، وتبوأت مكانة عُليا بين فنون القول وألوان البيان؛ فقد فتح الإسلام أمام الخطابة مجالات عديدة، فارتفعت رايتها في الجُمَع والأعياد، وفي مجالس الصلح والنكاح، وسائر الجوانب الدينية والوطنية والاجتماعية.

ولم يقف تقدير الإسلام للخطابة عند توسيع نطاقها، إنما أضفى عليها جانبًا كبيرًا من العناية، بما شرعه من خطب الجمع والأعياد، وندب الناسَ إلى سماعها والإنصات إليها، فقال ﷺ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ

دُهْنِهِ[1]، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ ثُمَّ يَخْرُجُ، فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى»[2].

وقد حذر النبي ﷺ تحذيرًا شديدًا من الكلام في أثناء خطبة الجمعة ولو كان طلبًا للإنصات، فقال ﷺ: «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ، فَقَدْ لَغَوْتَ»[3].

وقال ابن حجر: ويدل على وجوب الإنصات حديث علي رضي الله عنه: «وَإِنْ جَلَسَ مَجْلِسًا يَسْتَمْكِنُ فِيهِ مِنَ الاِسْتِمَاعِ وَالنَّظَرِ فَلَغَا وَلَمْ يُنْصِتْ كَانَ لَهُ كِفْلٌ مِنْ وِزْرٍ، وَمَنْ قَالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِصَاحِبِهِ: صَهْ، فَقَدْ لَغَا، وَمَنْ لَغَا فَلَيْسَ لَهُ فِي جُمُعَتِهِ تِلْكَ شَيْءٌ»[4]؛ لأن الوزر لا يترتب على من فَعَلَ مباحًا ولو كان مكروهًا كراهة تنزيه[5].

---

(١) قوله: «يدهن» المراد به إزالة شعث الشعر به، وفيه إشارة إلى التزين يوم الجمعة.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الدُّهْنِ لِلْجُمُعَةِ، حديث رقم ٨٨٣ .
(٣) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الإِنْصَاتِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ، حديث رقم ٩٣٤.
(٤) سُنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب فَضْلِ الْجُمُعَةِ، حديث رقم ١٠٥٣، وانظر: نيل الأوطار للشوكاني ٣/ ٢٧١، باب المنع من الكلام والإمام يخطب .
(٥) فتح الباري لابن حجر، ٢/ ٤١٥.

ولنأخذ أنموذجًا من خطبه ﷺ وهو في حجة الوداع، حيث خطب ﷺ في الناس في ذلكم المشهد الجامع المهيب، فقال: الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذي هوخير.

أما بعد:

أيها الناس: اسمعوا مني أبين لكم، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيها الناس:

إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلَّغتُ؟ اللهم اشهد، فمن كانت عنده أمانة فليؤدِّها إلى الذى ائتمنه عليها، وإن ربا الجاهلية

موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمِّي العباس بن عبد المطلب، وإنَّ مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة[1]، والسقاية، والعمد والقود[2]، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس:

إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس:

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[3]، يحرموا ما أحل الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض

(١) السدانة: خدمة الكعبة.
(٢) العمد: القتل المتعمد . والقود: القصاص، قتل القاتل بالقتيل.
(٣) [سورة التوبة، الآية٣٧].

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[1]، ثلاثة متوالية، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس:

إن لنسائكم عليكم حقًّا، ولكم عليهن حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن[2]، وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوان[3] لا يملكن لأنفسهن شيئًا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرًا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

---

(١) [سورة التوبة، الآية ٣٦].

(٢) تعضلوهن: تضيقوا عليهن.

(٣) عوان: جمع عانية، وهي الأسيرة، أي: هن عندكم بمنزلة الأسرى.

أيها الناس:

إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، فلا ترجعن بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وسنتي، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس:

إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلُّكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير، وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! قالوا: نعم، قال: فليبلغ الشاهد الغائب.

أيها الناس:

إن الله قسَّم لكل وارث نصيبه من الميراث، فلا يجوز لوارث وصية، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس

أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل[1]، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[2].

وقفة مع هذه الخطبة الجامعة:

لقد وقف النبي ﷺ هذا الموقف العظيم ليعلن في هذه الخطبة الجامعة - التي هي أشبه ما تكون بوصايا مودع - عن طائفة من التشريعات الإسلامية العظيمة، والتي كان من أهمها:

١ - حرمة الدماء والأموال:

لم يكد النبي ﷺ يلم بالحمد والشهادة والوصية بالتقوى حتى أعلن عن حرمة الدماء والأموال، فدماء المسلمين وأموالهم حرام كحرمة يوم عرفة في هذا الشهر الحرام (شهر ذي الحجة) في هذا البلد الحرام (مكة المكرمة).

---

(١) لا يقبل منه صرف ولا عدل: أي لا يقبل منه شيء، وأصل العدل أن يقتل الرجل بالرجل، والصرف أن ينصرف الدم إلى أخذ الدية.

(٢) الخطبة في البيان والتبيين، ٢/ ٣١، وتاريخ الطبري، ٣/ ١٥٠، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤٤٧.

ولم يكتف ﷺ بهذا التأكيد فعاد في آخر خطبته ليؤكد هذا الأمر مرة أخرى، إذ يقول: «ولا يحل لامرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه»، «فلا تَرْجِعُنَّ بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض».

وقد أسقط النبي ﷺ ربا الجاهلية، وبدأ بأقرب الموسرين إليه العباس بن عبد المطلب، حيث قال: «وأول ربا أضع ربا عمي العباس بن عبد المطلب»، وأسقط دماء الجاهلية، وبدأ بأقرب الدماء إليه، حيث قال: «أول دم أضع دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب».

وبذلك ندرك البون الشاسع بين المنهاج النبوي الذي يبدأ فيه الرسول ﷺ بنفسه وأقرب الناس إليه - حيث يقول ﷺ: «والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[1] - وبين كثير ممن تتملكهم المحاباة والمجاملة، فإذا سرق فيهم الشريف

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مَقَامُ النَّبِي - ﷺ - بِمَكَّةَ زَمَنَ الْفَتْحِ، حديث رقم ٤٣٠٤.

تركـوه، وإذا سرق فيهـم الضعيـف أقامـوا عليـه الحد، إنه الفـارق العظيـم بـين عدالـة السـماء وطغيـان البشر.

٢- التحذير من التلاعب بالأشهر الحرام:

فقـد كان العـرب إذا جـاء شـهر حـرام وهـم محاربـون أحلـوه وحرمـوا مكانـه شـهرًا آخـرَ، فيسـتحلون المُحرّم ويحرمـون صفـرًا، فـإن احتـاجوا - أيضًـا - أحلـوه وحرمـوا ربيعًـا الأول، وهكـذا كانـوا يعملـون حتـى اسـتدار التحريـم علـى السـنة كلهـا[1].

وقيـل: إن المشركـين كانـوا يحسـبون السـنة اثنـي عشر شـهرًا وخمسـة عـشر يومًا، فـكان الحـج في رمضـان، وفي شـوال، وفي ذي القعـدة، وفي كـل شـهر مـن السـنة، وذلـك بحكـم اسـتدارة الشـهر بسـبب زيـادة الخمسـة عـشر يومًا.

وكان حـج أبي بكر في السـنة التاسـعة من الهجـرة واقعًا في شـهر ذي القعـدة بسـبب ذلك، فلما حـج النبي ﷺ وافق

(١) روح المعاني للألوسي ١٠ / ٩٣.

حجه ذا الحجة في العشر الأول منه، فأعلن ﷺ نسخ الحساب الذي كانوا يحسبون به الزمن، وأكد أن السنة إنما هي اثنا عشر شهرًا فقط، فلا تداخل بعد اليوم: يوم عرفة الذي حج فيه رسول الله ﷺ[1].

قال القرطبي: «وهذا القول أشبه بقول النبي ﷺ: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ..»[2] أي: إن زمان الحج قد عاد إلى وقته الأصلي الذي عينه الله يوم خلق السماوات والأرض[3].

٣- الوصية بالنساء:

أوصى رسول الله ﷺ بالنساء خيرًا، وأكد في كلمة موجزة جامعة القضاء على الظلم الذي كان يقع على المرأة في الجاهلية، وحفظ لها حقوقها وكرامتها الإنسانية التي تضمنتها أحكام الشريعة الإسلامية.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ٨ / ١٣٧، ١٣٨، وفقه السيرة لمحمد سعيد البوطي، ص ٣٤٣، ط: دار الفكر عام ١٩٧٨م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾، حديث رقم ٤٦٦٢.

(٣) تفسير القرطبي ٨ / ١٣٨.

ولقد كانت هذه الحقيقة جديرة بتأكيد الوصية بها بسبب من كانوا حديثي عهد بالإسلام قريبي عهد بتقاليدهم الجاهلية التي تقضي بإهمال شئون المرأة وعدم الاعتراف لها بأي حق[1]، فوضع النبي ﷺ - لهم وللناس جميعًا إلى أن تقوم الساعة - ما للمرأة من حقوق، وما عليها من الواجبات.

٤- تقرير مبدأ الأخوة والمساواة:

أكد النبي ﷺ أن الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، فلا فضل للون أو جنس، ولا مزية لوطن أو لغة، إنما هو مقياس واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس جميعًا وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2].

كما أكدت الخطبة على ضرورة الالتزام بمنهج الله وإعطاء كل وارث حقه وأنه لا وصية لوارث، وأن

(١) فقه السيرة للبوطي ص ٣٤٤.
(٢) [سورة الحجرات، الآية ١٣].

الوصية لا تجوز فيما زاد على الثلث، وأن الولد للفراش وللعاهر الحجر... إلخ.

وهذه الخطبة صورت في دقة بالغة حس منطق الرسول ﷺ في خطبته، وأنه لم يكن يستعين فيها بسجع متكلف ولا بلفظ غريب، فقد كان يكره اللونين جميعًا من الكلام، لما يدلان عليه من التكلف، وقد برأه الله تعالى منه، إذ يقول في كتابه العزيز على لسانه ﷺ: « قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ»[1].

ثانيًا: الموعظة:

إذا كان وقت الخطابة وزمانها محددًا بوقته المحدد، فإن وقت الموعظة أكثر سعة ورحابة، وقد كان نبينا ﷺ يعظُ أصحابَه ويتعهدهم بها، ولا يكثر عليهم في ذلك خشية السآمة عليهم، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يَتَخَوّلنا بالموعظة في الأيام، كراهة السآمة علينا»[2].

(١) [سورة ص، الآية ٨٦]، وانظر: العصر الإسلامي، د. شوقي ضيف، ص ١٢٠.
(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب مَا كَانَ النَّبِي ﷺ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمِ كَي لاَ يَنْفِرُوا، حديث رقم ٦٨.

وعـن تأثير موعظـة النبي ﷺ في نفـوس الصحابة رضي الله عنهم يحدثنـا سـيدنا حنظلـة بـن الربيـع رضي الله عنه؛ حيث قـال: نَكونُ عنـدَ رسـولِ الله ﷺ يذَكِّرُنـا بالنَّـارِ والجنَّةِ كأنَّـا رأيَ عينٍ، فـإذا رجَعنا إلى الأزواجِ والضَّيعةِ نسـينا كثـيرًا، قال: فوالله إنَّـا لكذلِـكَ، انطلِـقْ بنـا إلى رسـولِ الله ﷺ فانطلقْنـا، فلما رآهُ رسـولُ الله ﷺ قـالَ: مـا لَـكَ يـا حنظلـةُ ؟ قـالَ: نافقَ حنظلـةُ يا رسـولَ الله، نَكـونُ عنـدَكَ تُذَكِّرُنا بالنَّـارِ والجنَّةِ كأنَّـا رأيَ عـينٍ، فَـإذَا رجَعنـا عافَسـنا الأزواجَ والضَّيعـةَ ونسـينا كثـيرًا، قـالَ: فقـالَ رسـولُ الله ﷺ:»لَـو تدومونَ عـلى الحـالِ الَّتـي تقومـونَ بِهـا مـن عنـدي لصافحَتكـمُ الملائِكَـةُ في مجالسِـكُم، وفي طرقِكُـم، وعـلى فُرُشِـكُم، ولَكِـن يـا حنظلةُ سـاعةً وسـاعةً سـاعةً وسـاعةً»[1].

وعـن العِرْبَاضِ بْنِ سَـارِيَةَ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُـولُ الله ﷺ يَوْمًـا بَعْدَ صَـلاةِ الغَـدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَـةً ذَرَفَتْ مِنْهَـا العُيُونُ وَوَجِلَـتْ مِنْهَـا القُلُـوبُ، فَقَـالَ رَجُـلٌ: إِنَّ هَـذِهِ مَوْعِظَـةُ

(١) صحيح مسـلم، كتاب التوبة، باب فَضْـلِ دَوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ الآخِـرَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَجَوَازِ تَرْكِ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ وَالاشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا، حديث رقم ٧١٤٢.

مُـوَدِّعٍ فَـمَاذَا تَعْهَـدُ إِلَيْنَـا يَـا رَسُـولَ الله؟ قَـالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْـوَى الله وَالسَّـمْعِ وَالطَّاعَـةِ، وَإِنْ عَبْـدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّـهُ مَـنْ يَعِـشْ مِنْكُمْ يَـرَى اخْتِلافًـا كَثِـيرًا، وَإِيَّاكُـمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُـورِ؛ فَإِنَّهَـا ضَلالَـةٌ؛ فَمَـنْ أَدْرَكَ ذَلِـكَ مِنْكُـمْ فَعَلَيْـهِ بِسُـنَّتِي وَسُـنَّةِ الْخُلَفَـاءِ الرَّاشِـدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّـوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِـذِ»[1].

ثالثًا: الوصايا:

كـما كان النبـي ﷺ يتعهـد أصحابه بالموعظـة العامة، كان يتعهدهـم بالوصايـا العامـة والخاصـة، ومـن الوصايـا العامة قولـه ﷺ لأصحابه: «أُوصِيكُـمْ بِتَقْوى الله، وَالسَّـمْعِ وَالطَّاعَـةِ وإِنْ تَأَمَّـر عَلَيْكُـمْ عَبْـدٌ حبشِيٌ، وَأَنَّـهُ مَـنْ يَعِـشْ مِنْكُمْ فَسَـيرى اخْتِلافًـا كثِـيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُـنَّتِي وَسُـنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِـدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِـذِ، وإِيَّاكُـمْ ومُحْدَثَـاتِ الأُمُـورِ فَـإِنَّ كُلَّ بِدْعَـةٍ ضلالَـةٌ»[2].

---

(١) سُنن الترمذي، كتاب العلم، باب مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ، حديث رقم ٢٨٩١.

(٢) سُنن ابن ماجه، كتاب أبواب السنة، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، حديث رقم ٤٢.

ومن وصاياه ﷺ العامة وصيته بالجار، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أُوصِيكُمْ بِالْجَارِ»[1]، ووصيته ﷺ بالنساء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيْرًا»[2].

ومن وصاياه ﷺ الخاصة ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أُوتر قبل أن أنام»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: «لاَ تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»[4].

ومنها وصيته ﷺ لسيدنا معاذ رضي الله عنه: «يَا مُعَاذُ والله إِنِّي لأُحِبُّكَ، ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعاذُ لاَ تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ

---

(١) المعجم الكبير للطبراني، ٧/ ١١٧، حديث رقم ٧٣٩٩ . وأصل المتن متفق عليه بلفظ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الْوَصَاةِ بِالْجَارِ، حديث رقم ٢٨٩١، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِ، حديث رقم ٦٨٥٢.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ، حديث رقم ٣٣٣١، وصحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ، حديث رقم ٣٧٢٠، واللفظ لمسلم.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صِيَامِ أَيَّامِ الْبِيضِ ثَلاَثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ، حديث رقم ١٩٨١.

(٤) صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ الغَضَبِ وَالشِّدَّةِ لِأَمْرِ الله، حديث رقم ٦١١٦.

صلاةٍ تَقُولُ: اللهم أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وحُسنِ عِبَادتِك»[1].

ومنها وصيته ﷺ لسيدنا أبي ذر رضي الله عنه قال: «.. قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَوْصِنِي، قَالَ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله زِدْنِي، قَالَ: عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ الله فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ وَذُخْرٌ لك في السماء، قلت: يَا رَسُولَ الله زِدْنِي، قَالَ: إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ..»[2].

ومنها ما روي عن جَرْمُوز الْهُجَيْمِيّ رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَوْصِنِي، قَالَ: «أُوصِيكَ أَنْ لَا تَكُونَ لَعَّانًا»[3]، ومنها ماروي عن أبي برزة الأسلمي قال: قلت: يا رسول الله دلّني على عمل يدخلني الجنة، قال: «أمط الأذى عن طريق الناس»[4].

---

(١) سُنن أبي داود، كتاب الوتر، باب فِي الِاسْتِغْفَارِ، حديث رقم ١٥٢٤.

(٢) صحيح ابن حبان، كِتَابُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الطَّاعَاتِ وَنَوَابِهَا، ذِكْرُ الِاسْتِحْبَابِ لِلْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ حَظٌّ رَجَاءَ التَّخَلُّصِ فِي الْعُقْبَى بِشَيْءٍ مِنْهَا، حديث رقم ٣٦١.

(٣) مسند أحمد، ٣٤ / ٢٧٨، حديث رقم ٢٠٦٧٨.

(٤) الأدب المفرد، باب إماطة الأذى، حديث رقم ٢٢٨. وبمعناه في صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، حديث رقم ١٣١.

رابعًا: الرسائل:

ومن وسائل التواصل الدعوية (الرسائل) التي استخدمها النبي ﷺ في مخاطبته الملوك والرؤساء، فعن عبد الرحمن بن عبد القاريّ أن رسول الله ﷺ بعث حاطبة بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، فقبل كتابه، وأكرم حاطبًا وأحسن نزله، ثم سرَّحه إلى رسول الله ﷺ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجها وجاريتين، إحداهما أم إبراهيم، وأما الأخرى فوهبها لجهم بن قيس العبدري، فهي أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة لعمرو بن العاص على مصر[1].

ومن رسائله ﷺ:

١ - رسالته ﷺ إلى النجاشي عظيم الحبشة:

وقد حملها إليه الصحابي الجليل سيدنا عمرو بن أُمية الضمري رضي الله عنه، ونصها: «بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله إِلَى النَّجَاشِيّ عَظِيمِ الْحَبَشَةِ؛ أَسْلَمْ أَنْتَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ

(١) الطحاوي في مشكل الآثار: ٢٥٧.

الْقُـدّوسُ السّـلَامُ الْمُؤْمِـنُ الْمُهَيْمِنُ، وَأَشْـهَدُ أَنّ عِيسَـى ابْنَ مَرْيَـمَ رُوحُ الله وَكَلِمَتُـهُ أَلْقَاهَـا إِلَى مَرْيَـمَ الْبَتُـولِ الطّيّبَـةِ الْحَصِينَـةِ فَحَمَلَـتْ بِعِيسَـى فَخَلَقَـهُ الله مِـنْ رُوحِـهِ وَنَفَخَهُ كَـمَا خَلَـقَ آدَمَ بِيَـدِهِ، وَإِنّي أَدْعُـوكَ إِلَى الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ وَالْمُـوَالَاةِ عَـلَى طَاعَتِـهِ، وَأَنْ تَتْبَعَنِـي وَتُؤْمِـنَ بِالّـذِي جَـاءَنِي فَإِنّي رَسُـولُ الله، وَإِنّي أَدْعُـوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى الله ﷻ، وَقَـدْ بَلّغْـتُ وَنَصَحْت فَاقْبَلُـوا نَصِيحَتِي وَالسّـلَامُ عَلَى مَنْ اتّبَعَ الهـدى»[1].

٢ - رسالته ﷺ للمنذر بن ساوى التميمي والي البحرين:

وقد حملها إليه الصحابي الجليل «العلاء بن الحضرمي» رضي الله عنه، وجاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى: سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد، فَإِنِّي أَذْكُرُ الله ﷻ، فَإِنَّهُ مَنْ يَنْصَحْ، فَإِنَّمَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ، وَإِنَّهُ

(١) دلائـل النبوة للبيهقي، جماع أبواب المبعث، بـاب ما جاء في كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي، حديث رقم ٦٠٣.

مَنْ يُطِعْ رُسُلِي، وَيَتَّبِعْ أَمْرَهُمْ، فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ نَصَحَ لَهُمْ، فَقَدْ نَصَحَ لِي، وَإِنَّ رُسُلِي قَدْ أَثْنَوْا عَلَيْك خَيْرًا، وَإِنِّي شَفَّعْتُك فِي قَوْمِك، فَاتْرُكْ لِلْمُسْلِمِينَ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ، وَعَفَوْتُ عَنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَإِنَّك مَهْمَا تَصْلُحْ، فَلَنْ نَعْزِلَك عَنْ عَمَلِك»[1].

٣ - رسالته ﷺ للحارث الغساني ملك الحيرة:

وقد حملها إليه الصحابي الجليل «شجاع بن وهب الأسدي» رضي الله عنه، ونصها: «من محمد رسول الله إلى الحارث بن شمر، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يَبْقَى لك ملكك»[2].

وفي تنوع أساليب ووسائل الدعوة ما بين الحديث الشريف، والخطبة، والموعظة، والوصية، والرسالة، مع استخدام سائر مهارات التواصل الدعوي ما يؤكد

(١) نصب الراية لأحاديث الهداية، لعبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي، ٤/ ٥٠١، ط: دار الحديث، مصر، ١٣٥٧، تحقيق: محمد يوسف البنوري.
(٢) المصدر السابق.

حـرص نبينا ﷺ على إبـلاغ الرسـالة وأداء الأمانة، وإقامة الحجـة واضحـة وبينـة جليـة لا لبـس فيها.

وإذا كان رسـول الله ﷺ قـد قـال: «تَرَكْـتُ فِيكُـمْ مَـا إِنِ اعْتَصَمْتُـمْ بِـهِ فلَـنْ تَضِلُّـوا أَبَـدًا»[1] فإن مـن واجبنا أن نسـير عـلى نهجـه ﷺ في البـلاغ المبـين بالحكمـة والموعظة الحسـنة، ومـن منطلـق قولـه تعـالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[2] مؤمنـين أن دورنـا هـو البـلاغ المبـين، وأن أمر الهداية لله وحـده، حيث يقول ﷻ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[3]، ويقـول ﷻ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[4]، ويقـول ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[5].

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ١/ ١٧١ حديث رقم ٣١٨، دار الكتب العلمية، بيروت.
(٢) [سورة النحل، الآية ١٢٥].
(٣) [سورة الشورى، الآية ٤٨].
(٤) [سورة القصص، الآية ٥٦].
(٥) [سورة البقرة، الآية ٢٧٢].

نسـأل الله ﷻ تمام الهدايـة والقبول والسـداد والتوفيق، وأن يجعـل هـذا العمـل خالصًـا لوجهـه الكريـم، إنه نعم المولى ونعـم النصير.

* * *

الموضوع

مـقــدمـــــة.	٥
النبي القدوة ﷺ.	١١
النبي ﷺ معلمًا ومربيًا.	٢١
بلاغة الرسول ﷺ.	٢٩
مهارات التواصل الدعوي في السنة النبوية المشرفة.	٤٥
أساليب التواصل الدعوي في السنة النبوية المشرفة.	٥٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب